المفارقات الزمنية في رواية "غصن الزيتون" لمحمد عبد الحليم عبد الله ؛ دراسة فنية تحليلية

إعداد

أسماء السعيد السنتريسي
باحثة ماجستير

أ.م.د. رانيا جمال عطية
الاستاذ المساعد

بقسم اللغة العربية ـ كلية الآداب
جامعة دمنهور

أ.م.د. يسرا صلاح الدين العدوى
الاستاذ النقد الأدبي المساعد بقسم اللغة العربية
بكلية التربية جامعة دمنهور

دورية الانسانيات ـ كلية الآداب ـ جامعة دمنهور
العدد الثالث و الستون - يوليه -الجزء الأول - لسنة 2024

المفارقات الزمنية في رو اية "غصن الزيتون" لمحمد عبد الحليم عبد الله ؛ دراسة فنية تحليلية

أ.أسماء السعيد السنتريسي
أ.م.د. رانيا جمال عطية
أ.م.د. يسرا صلاح الدين العدوى

الملخص :
نظرًا لأهمية المفارقات الزمنية في بناء الخطاب الروائي الجديد، آثرت أن تكون هذه الدراسة تطبيقية للبحث عن أشكال المفارقات الزمانية ودلالاتها .
بدأنا البحث بتمهيد عن مفهوم المفارقات الزمنية، بعد ذلك قمنا بوضع خطوات للبحث .
– يتناول الجزء الأول منه تقنية الاسترجاع (الارتداد) في رواية "غصن الزيتون"، ونتكلم فيه عن تعريف الاسترجاع، و المسميات المتعددة له، وأنواع الاسترجاع (الخارجي– الداخلي– المزجي أو المختلط أو المشترك)، وبعد ذلك قمنا بتقسيم الارتداد الخارجي إلى أنواع (الجزئي– التكميلي– الكلي)، و أيضا الارتداد الداخلي قسمناه إلى (التكميلي أو الارجاعي – التذكيري أو المكرر) .
–أما الجزء الثاني من هذا البحث فيتناول تقنية الاستباق (الاستشراف) في رواية " غصن الزيتون" و نتكلم فيه عن تعريف الاستباق، وأيضا المسميات المتعددة له، وأنواع الاستباق (الداخلي –الخارجي)، وأيضا قسمنا أنواعه حسب الوظيفة التي يؤديها إلى (استشراف كتمهيد – استشراف كإعلان)، و اضفنا لكل جزء من هذه الأجزاء (تقنية الاسترجاع– تقنية الاستباق) الجزء التطبيقي الخاص له .

ABSTRACT

Given the importance of temporal paradoxes in building the new narrative discourse, I chose to make this study an applied study to search for the forms of temporal paradoxes and their meanings. We began the research with an introduction to the concept of temporal paradoxes, after which we developed steps for the research.

- The first part of it deals with the technique of retrieval (rebound) in the novel "The Olive Branch", and we talk about the definition of retrieval, the many names for it, and the types of retrieval (external − internal − blended, mixed, or combined), and after that we divided external regress into types.

(Partial - Supplementary - Total), and also internal regression, which we divided into (supplementary or retrospective - reminder or repeat). The second part of this research deals with the technique of anticipation (anticipation) in the novel "The Olive Branch," in which we talk about the definition of anticipation, as well as the many names for it, and the types of anticipation (internal - external), and we also divided its types according to the function it performs into (anticipation as a preface).

− Anticipation as an advertisement), and we added to each of these parts (retrieval technique − anticipation technique) its own applied part.

مقدمة

يتناول الجزء الأول من هذا البحث تقنية الاسترجاع (الارتداد) في رواية "غصن الزيتون"، ونتكلم فيه عن تعريف الاسترجاع، و المسميات المتعددة له، وأنواع الاسترجاع (الخارجي- الداخلي- المزجي أو المختلط أو المشترك)، وبعد ذلك قمنا بتقسيم الارتداد الخارجي إلى أنواع (الجزئي- التكميلي- الكلي)، و أيضا الارتداد الداخلي قسمناه إلى (التكميلي أو الارجاعي - التذكيري أو المكرر) .

-أما الجزء الثاني من هذا البحث فيتناول تقنية الاستباق (الاستشراف) في رواية " غصن الزيتون" و نتكلم فيه عن تعريف الاستباق، وأيضا المسميات المتعددة له، وأنواع الاستباق (الداخلي -الخارجي)، وأيضا قسمنا أنواعه حسب الوظيفة التي يؤديها إلى (استشراف كتمهيد - استشراف كإعلان)، و اضفنا لكل جزء من هذه الأجزاء (تقنية الاسترجاع- تقنية الاستباق) الجزء التطبيقي الخاص له .

-أسباب اختيار الموضوع :-

هناك بعض الإشكالات أحملها في مجموعة من الأسئلة أحاول الإجابة عنها في هذا البحث :

١-ما هى المفارقات الزمنية أو الترتيب الزمني؟ وما هي العناصر المكونة له ؟

٢-كيف استعمل الكاتب تقنية الاسترجاع في سرد أحداث روايته ؟

٣-كيف استطاع محمد عبد الحليم عبد الله توظيف تقنية الاستباق في روايته ؟

-يطمح هذا البحث إلى طرح هذه الأسئلة ويسعى جاهدا للإجابة على بعضها نظريا وتطبيقيا .

-أهداف الموضوع (الدوافع) :-

١-دراسة المفارقات الزمنية (الاسترجاع- الاستباق) وفق المناهج الحديثة .

٢-الغوص بين ثنايا هذا النص للكشف عن أسراره الفنية .

-منهج البحث :-

يعتمد هذا البحث على الدراسة الفنية التحليلية.

خطة البحث

المفارقات الزمنية في رواية "غصن الزيتون" لمحمد عبد الحليم عبد الله

دراسة فنية تحليلية

- المفارقات الزمنية (الترتيب الزمني)

أولا: تقنية الاسترجاع (الارتداد)

١- الارتداد الخارجي

أ- الارتداد الخارجي الجزئي .

ب- الارتداد الخارجي التكميلي.

ج- الارتداد الخارجي الكلي .

٢- الارتداد الداخلي

أ- الارتداد الداخلي التكميلي أو الارجاعي .

ب- الارتداد الداخلي التذكيري أو المكرر .

٣- الارتداد المزجي أو المختلط

ثانيا: تقنية الاستباق (الاستشراف)

١-أنواع الاستباق

أ- استباق داخلي .

ب- استباق خارجي .

٢- أنواع الاستباق حسب الوظيفة التي يؤديها :

أ- الاستباق التمهيدي .

ب- الاستباق الإعلاني .

- خاتمة .

-قائمة المصادر والمراجع .

المفارقات الزمنية (الترتيب الزمني) anachrony [1]

المفارقات الزمنية : تعني دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما، مقارنة نظام ترتيب الأحداث، أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث، أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة ، وذلك لأن نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة، أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك [2] .

ينطلق جيرار جنيت من آراء تودوروف Todorov، فيقيم تصنيفا ثلاثيا في مستويات الزمن السردي ، هى بحسب العلاقة بين زمني (الخطاب، الحكاية)[3] ، ما يأتي:-

١-مستوى النظام أو الترتيب الزمني Chronological order: وفيه تبرز تقنيتا: (الاسترجاع والاستباق) .

٢-مستوى المدة أو الديمومة Permanence: وفيه تبرز أربع تقنيات سردية: (التلخيص، الحذف، المشهد، الوقفة الوصفية).

٣-مستوى التواتر أو التكرار Repetition .

-أما مستوى النظام أو الترتيب الزمني (المفارقة الزمنية): سبق وأن قمنا بتعريفه .

-وأما مستوى المدة: فيعني قياس السرعة، فقد تتراوح سرعة النص الروائي من مقطع لآخر بين لحظات، قد يغطي استعراضها عددا كبيرا من الصفحات وبين عدة أيام قد تذكر في بضعة أسطر[4] ، الأمر الذي ينشأ عنه ظهور ما يسمى (حركات السرد) أو تقنياته الأربع، وهى: التلخيص، والحذف في ما يسمى (بتسريع حركات السرد)، والمشهد، والوصف في ما يسمى(بإبطاء حركات السرد)[5] .

---

[1] جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م ،ص ٢٤.

[2] جيرارجنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة:محمد معتصم-عبد الجليل الأزدي- عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧ م ، ص٤٧.

[3] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ،١٩٩٧، ص ٧٦-آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ،٢٠١٥م، ص٢٧- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ(بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ٢٠٠٦، ص١٥٥ .

[4] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، العدد(٢)،١٩٩٣م، ص١٣٧ .

[5] آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص١٠٢ .

وتسمح لنا هذه التقنية بدرس سرعة كل مقطع من مقاطع الرواية، ثم مقارنة هذه السرعات لكشف إيقاع الكتابة في الرواية، وهناك نظريا تدرج في سرعة الحكاية من الحد الأدنى الذي يسجله الوقف إلى الحد الأقصى الذي يسجله الحذف، والدراسة السردية تحصر هذه السرعات التي تقيس المدة إلى أربع حركات [6]: (التلخيص، الحذف، المشهد، الوصف).

–مستوى التواتر: الذي يرتبط بمسألة تكرار بعض الأحداث من المتن الحكائي على مستوى السرد[7] .

–سنتكلم بالتفصيل عن كل مستوي من هذه المستويات.

أولا: مستوى النظام أو الترتيب الزمني Chronological order: وفيه تبرز تقنيتا: الاسترجاع، والاستباق .

أولا: تقنية الاسترجاع (الارتداد) Analepsis [8]:–

اختلفت تسميات هذه التقنية شأنها شأن التقنيات السردية الأخرى، نظرا لكثرة وتعدد الدراسات التي اختصت بموضوع السرد، إذ نجد أن كل باحث قد اعتمد تسمية معينة رآها الأنسب من وجهة نظره [9] ، ولعلى السبب في ذلك، يعود إلى التباين وعدم الوضوح في ترجمة المصطلح اللساني والنقدي، مما أدى إلى ظهور أكثر من مقابل ترجمي للمصطلح الواحد، وغياب ضوابط مشتركة وموحدة في كيفية وضع المصطلح وترجمته[10] ، ولكن على الرغم من وجود الاختلاف بين تلك الترجمات من ناحية التسمية، إلا أنها تبدو متفقة إلى حد كبير من ناحية المعنى، فمثلا تقنية (الارتداد) لها تسميات أخرى، منها: الاستذكار[11] ، الاسترجاع [12]، الإحياء[13] ، لكنها تدل على معني واحد، هو كل ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة [14] .

---

[6] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص٩٨ .

[7] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، ص١٤٢- تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء-المغرب، ط٢، ١٩٩٠م، ص٤٩ .

[8] جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص٢٥ .

[9] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي "أنور عبد العزيز")،دار غيداء للنشر والتوزيع-عمان، ط١، ١٤٣٢-٢٠١١م، ص٤٨.

[10] فاضل ثامر، اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان ،ط١، ١٩٩٤م ، ص١٦٩-١٧٠.

[11] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط١ ،١٩٩٠، ص١٢١ .

[12] جيرار جينيت، خطاب الحكاية،(بحث في المنهج) ، ترجمة: محمد معتصم – عبد الجليل الأزدي -عمر حلي ، الهيئة العامة للمطابع الأميرية ، ط٢ ،١٩٩٧، ص٥١- سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٤، ص ٥٤ .

والاسترجاع أو الفلاش باك (flash back) هو مصطلح روائي يعني: الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب [15]، يروي للقارئ فيما بعد ما قد وقع من قبل[16] .

وهو مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة (أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث، ليدع النطاق لعملية الاسترجاع)[17] .

وإكمال الاسترجاع، أو العودة يملأ الثغرات السابقة التي نتجت من الحذف أو الإغفال Ellipsis في السرد، والاسترجاعات المتكررة Repeated retrieval والعودة back تعيد تكرار ذكر وقائع ماضية [18] .

وسنعتمد على مصطلح (الارتداد) كونه في رأينا أقرب إلى التعريف بمضمون هذه التقنية، فحين يتوقف حاضر الزمن السردي ويرجع إلى الوراء، يحصل انعكاس في اتجاه خطيته الطبيعية، وكأن الزمن قد ارتطم بجار النقطة التي توقف عندها، ليرتد صداها إلى الذاكرة فتبدأ باستعادة أحداث الماضي المخزونة في حافظتها [19] .

ونظرا لاختلاف مستويات الاسترجاع إلى الوراء من الماضي البعيد إلى الماضي والماضي القريب، نشأت أنواع مختلفة عن هذه المفارقة السردية هى "أنماط الارتداد":-

١-الارتداد الخارجي. ٢-الارتداد الداخلي. ٣- الارتداد المختلط أو المشترك أو المزجي[20] .

-سبقت الإشارة إلى أن (الارتداد) يتكون من مقاطع، تحكي أحداثا خارجة عن آنية المسار الزمني للقصة، وبما أن ثمة تفاوت في مستويات العودة إلى الوراء بين الماضي البعيد والماضي القريب، فإن جينيت يقسم هذه التقنية على ثلاثة أقسام [21]:-

١-الارتداد الخارجي External bounce

---

[13] والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨ م، ص١٦٤

[14] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٥١ .

[15] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص١٠٣.

[16] تزفيطان تودوروف، الشعرية، ط٢، ترجمة : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر – المغرب،ط٢، ص٤٨ .

[17] جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص٢٥ .

[18] جيرالد برنس ، المصطلح السردي ، ص25 .

[19] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي- أنور عبد العزيز)، دار غيداء للنشر والتوزيع- عمان، ط١، ٢٠١١م-١٤٣٢ ص٤٩ .

[20] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٦٠ وما بعدها .

[21] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

وهو ما كان واقعا خارج الحقل الزمني للقص ، أي بمعنى أنه لا يدخل ضمن حدود نقطة البداية التي ينطلق منها حاضر القصة [22] .

هو ذاك الذي يستعيد أحداثا تعود إلى ما قبل بداية الحكاية، فالتعريف بشخصية جديدة يمكن أن يتم بذكر حدث من ماضيها سابق زمنيا لبداية الرواية، العودة إلى هذا الحدث هى(استرجاع خارجي) لأن زمن الحدث خارج زمن الرواية[23] .

–وينقسم الارتداد الخارجي على ثلاثة أنواع هى: (الجزئي ، التكميلي ، الكلي) [24] .

١–الارتداد الخارجي الجزئي Partial external recoil

يتناول سرد جزء من حياة إحدى الشخصيات لغرض إضاءة حاضر القصة، وربطه بالزمن الماضي[25] .

وهذا الارتداد يكتفي فيه الراوي بذكر جزء من ماضي الشخصية القصصية، لأجل أن يتعرف على بعض خصائص تجاربها الحياتية [26] .

وهو ذاك الذي ينتهي بالحذف فلا يلتحم بالسرد الأولي، وهذا الاسترجاع يُغطي جزءا محدودا من الماضي معزولا ومنقطعا عما حوله، أما وظيفته فهى تقديم معلومات محددة ضرورية لفهم الأحداث [27] .

٢–الارتداد الخارجي التكميلي Supplementary external bounce

هو استنفار الذاكرة في أكثر من مرة للكشف عن ماضي شخصية ما، بحيث يرتسم أمام القارئ لهذه الاستنفارات صورة واضحة ومتكاملة عن مميزات تلك الشخصية [28] .

وهنا يعود بنا الراوي إلى الخلف أكثر من مرة ليعطينا بعض المعلومات عن ماضي شخصية ما، بحيث يصبح شكل المقاطع لشكل الحلقات المتصلة بعضها ببعض، مما يساعدنا في نهاية الأمر على تكوين صورة واضحة ومتكاملة عن تلك الشخصية [29] .

٣–الارتداد الخارجي الكلي Total external recoil

---

[22] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٢ .

[23] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢، ص١٩ .

[24] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

[25] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

[26] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٢ .

[27] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٩ .

[28] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

[29] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٣ .

هو الذي يتصف بالشمول، أي أنه بخلاف الجزئي[30] .

-ويرى بعض الباحثين أن الارتدادات على نوعين :

١- ارتدادات خارجية ذاتية Self-external recoil

ترتبط بالشخصية التي تمثل محور الحكي، إذ ترى أفكارها المتعلقة بالماضي على شكل ذكريات.

٢-ارتدادات خارجية موضوعية Objective external regression

تتعلق بالحاكي الذي يرى أنه من الضروري أن يعود بالقارئ إلى الوراء، لمده بمعلومات إضافية عن تاريخ مكان ما، أو ماضي إحدى شخصيات القصة[31] ، بغية استجلاء الغموض الذي قد يعتري فهمه.

٢-الارتداد الداخلي Internal recoil

هو الارتداد الذي يقع في ماض لاحق لبداية الرواية[32] ، وهو ما كان مندرجا ضمن الحقل الزمني للقص[33] .

ويحتاجه الروائي (الكاتب) عادة لكي يعالج به إشكالية سرد الأحداث (الحكائية المتزامنة) Simultaneous narrative ، حيث تحتم خطية الكتابة على أسطر الرواية تعليق حدث، لنتناول حدثا آخرا معاصرا له.

وهكذا بحيث يتحول التزامن الحكائي المنطقي الحقيقي إلى تتابع روائي غير حقيقي، بل متخيل سردي تقتضيه الضرورة الفنية فحسب على نحو ما يمكن تمثيله بالآتي (عودة السرد) :-

-عودة السرد (Narrative return)

وتعني أن يعود الراوي التقليدي بضمير الهو بين الحين والآخر، كي يتابع ما كان قد انقطع عن متابعته من أحداث القضية الواقعة في حاضر السرد الروائي [34] .

وهو الارتداد الذي تكون فسحته الزمنية واقعة ضمن نطاق زمن الحكي، أي انه يقع في صلب الزمن الحاضر الذي تسير فيه أحداث القصة، ولهذا النمط عدة أشكال منها:-

أ-الارتداد الداخلي التكميلي أو الإرجاعي Supplementary internal bounce

---

30 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

31 سمير المرزوقي- جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلا وتطبيقا)، دار الشئون الثقافية، الدار التونسية للنشر،١٩٨٦ م ، ص٧٧-٧٨ .

32 سيزا قاسم، بناء الرواية، ص٥٨ .

33 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥١ .

34 آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ،ص١٠٩-١١٠ .

وهو يأتي إما لتبيان طبيعة العلاقة التي تربط بين شخصيتين قصصيتين، ولم يفسح المجال لهذه العلاقة بالظهور في بداية القص، فيتم تقديمها في وقت لاحق، أو لزيادة توضيح الحدث الذي سبق لنا الاطلاع عليه [35] .

وهو الذي يسد نقصا حاصلا في السرد، إنه تعويض عن حذف سابق .

هناك قصص تتبع طريقة الحذف والتعويض، فيكون السرد فيها متقطعا متنقلا بين الحاضر والماضي، هذا الحذف قد يكون من قبيل الحذف الصرف؛ أي يتجاهل فترة زمنية بأحداثها، ولكنه قد يكون من قبيل الحذف الجزئي الجانبي الذي لا يغفل فترة زمنية، بل جزءا من أحداثها؛ أي كتم معلومات، والكتم كالحذف يعوضه الراوي بالاسترجاع .

قد يتناول الحذف والكتم حدثا مفردا؛ أي حدثا وقع مرة واحدة في زمن الحكاية، وقد يتناول حدثا مكررا؛ أي تكرر وقوعه في زمن الحكاية .

في الحالة الأولى يكون (الاسترجاع) استرجاعا واحدا لحدث واحد One event وفترة زمنية واحدة، أما في الحالة الثانية فيكون(الاسترجاع) استرجاعا واحدا لأحداث متشابهة Similar events وفترات زمنية متعددة [36] .

ب–الارتداد الداخلي التذكيري أو المكرر Duplicate internal bounce

ويُسمي جينيت هذا النمط بالارتداد التكراري[37] ؛ أي انه يرد في النص القصصي، مكررا في أكثر من موضع[38] .

هو إشارات القصة إلى ماضيها، قد تعود القصة على أعقابها عودات قصيرة غالبا قصد(التذكير)، وهذا التذكير قد يتخذ شكل المقارنة بين الماضي والحاضر، أو بين موقفين متشابهين ومختلفين في آن واحد، أو شكل معارضة موقف، أو شكل النقد الذاتي الذي يكسب الحدث الماضي معنى لم يكن له من قبل، هذه هى في الواقع وظيفة التذكير الأساسية.[39]

٣–الارتداد المختلط أو المزجي [40]أو المشترك Mixed reflux

تكون الفسحة الزمنية لهذا الارتداد مشتركة بين الزمنين الخارجي والداخلي [41] .

---

35 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٧ .
36 لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٢٠-٢١ .
37 جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٦٤ .
38 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٨ .
39 لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٢١ .
40 سيزا قاسم، بناء الرواية، ص٥٨ .
41 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٩ .

هو ذاك الذي يسترجع حدثا بدأ قبل بداية الحكاية، واستمر ليصبح جزءا منها، فيكون جزء منه خارجيا والجزء الباقي داخليا [42] .

والاسترجاع بأنواعه الثلاثة، تقنية زمانية ذات وظائف بنيوية متعددة تخدم السرد، وتسهم في نمو أحداثه وتطورها مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة، أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد، وهاتان الوظيفتان تعتبران في رأي جنيت Genet من أهم الوظائف التقليدية لهذه المفارقة الزمنية[43] .

ومن الوظائف الأخرى للارتدادات، العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير Reminder، أو حتى لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية سواء بإعطاء دلالة لما لم تكن له دلالة أصلا، أو لسحب تأويل سابق واستبداله بتفسير جديد[44] .

-وسنقتصر فقط على ما هو موجود من (أنواع الارتداد) في رواية كاتبنا كون هذه الرواية لا تتضمن جميع الأنواع :-

أولا: (الارتداد الخارجي) ينقسم إلى :-

١-ارتداد خارجي جزئي :-

اقتطع الراوي جزء من حياة الشخصية (عبده)، ويقول على لسانه: (وكنت بين إخواني في المدرسة أشبه بالمستقلين القلائل في برلماناتنا القديمة، لا يحسب حسابي لشخصي ذاته، وإنما يحسب حسابي داخلا ضمن مجموع. وإن أفقدني هذا لذة التمتع بقوة الشخصية، فقد أكسبني لذة تأتي في المرتبة الثانية، ولكنها لا تتناسى، فقد كان يتملقني كل فريق، ويحاول ضمي إلى صفه، فأجني من هذا ثمرات. وكنت غير سريع البت، بطيئا بطبعي مترددا)[45].

٢ -الارتداد الخارجي التكميلي:-

-بحيث يصبح شكل المقاطع كشكل الحلقات المتصلة بعضها ببعض، مما يساعدنا في نهاية الأمر على تكوين صورة واضحة ومتكاملة عن تلك الشخصية.

-يظهر انموذج هذا النمط في الرواية:-

---

[42] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص٢١ .

[43] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٢١-١٢٢ .

[44] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٢٢ .

[45] محمد عبد الحليم عبد الله ، غصن الزيتون ، دار مصر للطباعة والنشر ، مكتبة مصر -القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٧، ص٦ .

–حول الشاب عبده (مدرس اللغة العربية) بوصف حياته (كانوا يكثرون الحديث عن الحب، لأنهم كانوا في سن الشباب !! في السنوات التي نحس فيها بوجود "القلب" إحساسا واضحا، قد لا يطغى عليه إحساسنا بالجوع.

كانوا كذلك، وكنت واحدا منهم. وكنا جميعا مدرسين في "مدارس النصر" الحرة الخاضعة لتفتيش وزارة المعارف، والواقعة عند ملتقى عدة أحياء وطنية، المليئة بأبناء الطبقة الفقيرة، وقليل من أبناء المتوسطين، في الرياض، والابتدائي، والفنون)[46].

–غير أن الراوي يقطع مسار الأحداث بين الحين والآخر، لينقلنا إلى ماضي تلك الشخصية، حيث يقول:(وكنت بين إخواني في المدرسة أشبه بالمستقلين القلائل في برلماناتنا القديمة، لا يحسب حسابي لشخصي ذاته، وإنما يحسب حسابي داخلا ضمن مجموع. وإن أفقدني هذا لذة التمتع بقوة الشخصية، فقد أكسبني لذة تأتي في المرتبة الثانية، ولكنها لا تتناسى ، فقد كان يتملقني كل فريق، ويحاول ضمي إلى صفه، فأجني من هذا ثمرات. وكنت غير سريع البت، بطيئا بطبعي مترددا)[47].

–ثم يعود الراوي في مقطع آخر ليكمل خصال (الاستاذ عبده)(وكنت أبدو في صورة غريبة، صورة شاب راكد العاطفة، خامل بليد، لا يعنيه من أمور النساء قليل ولا كثير، فأفادني هذا "السلب" "إيجابا" جميلا، هو أن كل زميل لي في المدرسة، كان يأتمنني على سره، ويبثني هواه حين يعلق قلبه بقصد، أو بغير قصد بإحدى الآنسات من المدرسات أو الطالبات.

وكنت أشارك في أحاديث الهوى بنقاش بارد، لا يتناسب مع حرارتي الحقيقية، ولا حرارة الموضوع. وقد أضحك والدمع يترقرق في عيني من يحدثني، لكنه حين يتركني فأخلو إلى نفسي وأستعيد ما قال، أحس من أجله ألما مناسبا)[48].

ويكمل أيضا خصاله ليأتي بصورة متكاملة عن الشخصية (الاستاذ عبده):–(وكنت متمتعا بفضائل ولدتها بعض الرذائل في نفسي، أولها– وهو الذي أعجب إخواني مني– أنني كتوم للسر، وذلك ناشئ من أنني غير جدل ولا كثير الكلام. وأحبني الناظر والمدير لأنني مطيع، وذلك ناشئ من أنني أخاف. وتحدثت ناظرة مدرسة البنات عن استقامتي، وذلك ناشئ من أنني جبان. وقال عني زملائي إنني كريم، أقرض مالا قد أكون محتاجا إليه،

---

[46] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٥ .
[47] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٦ .
[48] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٧ .

وذلك ناشئ من أنني سريع التورط. هذه هى حقيقة فضائلي... وكثير من فضائل الناس زيف وبهتان) [49].

-الارتدادات الخارجية، تنقسم أيضا إلى :-

١-ارتداد خارجي ذاتي:

-يحكي الشخصية البطل على لسانه بعض من ذكرياته (وكنت بين إخواني في المدرسة أشبه بالمستقلين القلائل في برلماناتنا القديمة، لا يحسب حسابي لشخصي ذاته، وإنما يحسب حسابي داخلا ضمن مجموع. وإن أفقدني هذا لذة التمتع بقوة الشخصية، فقد أكسبني لذة تأتي في المرتبة الثانية، ولكنها لا تتناسى، فقد كان يتملقني كل فريق، ويحاول ضمي إلى صفه، فأجني من هذا ثمرات. وكنت غير سريع البت، بطيئا بطبعي مترددا)[50].

٢-ارتداد خارجي موضوعي :

يعود الشخصية البطل (عبده) بالقارئ إلى الوراء لمده بمعلومات إضافية عن ماضي إحدى شخصيات القصة وهو زميله (الاستاذ جمال)، يقول :-

-وكانت بين تلك الدعابات وتلك التوافه حقيقة كبرى، كنا نتجاهلها أحيانا، لأن حقائق الحب تثير الغيرة، ونعترف بها حينا لأن الحقائق تنطق الألسن. كان بيننا من يدعى جمال أفندي.

وقد كانت القاعدة في توزيع المدرسين على الفصول أن يختاروا لمدارس البنات أتعس الوجوه من الشبان، أو من المسنين الذين يصلون الظهر في فسحة الغداء. لكن زميلنا جمال أفندي شذ عن القاعدة من كل أطرافها، فقد كان شابا وسيما.... ولم يكن من المصلين !! [51].

-لكنني بيني وبين نفسي كنت أؤمن بمواهب جمال. كان يحمل مفتاحين من أحسن ما صنع الله لفتح قلب المرأة !! كان وسيما..... وكان كذابا...!! وهذان هما المفتاحان !! [52].

-كان لا يتصل بمجموعنا إلا قليلا، فاتهمه بعضنا بالكبرياء، واتهمه بعضنا بأنه زير نساء، وكنت أنا الشخص الوحيد الذي يرى فضائله، غير متيح للغيرة ولا للحقد فرصة تعميني فيها عن مزاياه.

---

49 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٧ .
50 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٦ .
51 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٨ .
52 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٩ .

كان يعجبني حديثه، وكان يعجبهم وإن كانوا لا يعترفون. وكانت حكاياته كوجه المرأة الذي لا يعرى من المساحيق، نعلم أنه زائف، ومع ذلك... نعجب به !! [53].

-يزودنا هذا المقطع السردي بمعلومات عن ماضي شخصية (الاستاذ جمال) المدرس بمدرسة النصر، زميل (الاستاذ عبده)، يبرز الراوي هنا صفات ومواصفات جمال الشكلية، ويوضح أيضا كيف نجح في حياته العامة أو العملية .

ثانيا:(الارتداد الداخلي) ينقسم إلى :-

١-ارتداد داخلي تكميلي أو ارجاعي :-

-يعمد الراوي إلى إضفاء أضواء جديدة على مشهد المرض والحزن من خلال المقطع الارتدادي الذي يصور لحظات احتضار الطفلة، ومشاهد الأسى:-

وكان هذا أشبه بالفجوة في حياتنا المنزلية، وابتدأت عطيات تنقلب كما ينقلب جو أمشير، وكان مظهر ذلك إعراضها عن القراءة، وشكواها من الصداع، وعدم استغراقها في النوم، وفقدها-الشهية، وكثرة الأحلام المزعجة عمن في القاهرة[54].

-ثم عدت إلى البيت بعد ساعة، وكان الخصام لا يزال يرفرف على أركانه، كأنه راية سوداء على برج سجن.

وسهرت أكتب خطابا إلى إحدى المكتبات في القاهرة .

طلبت فيه أن ترسل قصة (أنا كارنينا) بعنواني. وعندئذ وضعت القصة في طريقها، وكنت واثقا أنها فهمت قصدي، لكنها قالت لي ذات صباح بلهجة صارمة: الطفلة مريضة، جدا. يجب أن تذهب إلى طبيب. وانفتح باب الكلام. وتعرضت الطفلة للخطر، في الوقت الذي جاءنا فيه خطاب من أهلها يقولون فيه: إن والدها مريض ويرجو أن يراها.

وتحرج الموقف، وبدت عطيات ذليلة كأنها فقدت كل أسلحتها، وخيل إلي أنها ستموت هى، وأن الطفلة وجدها سيشفيان. وأحسست مقدما بحرقة الحزن. فحزنت على نفسي !! [55].

-ثم يعود الراوي في مقطع آخر ليكمل المشهد الحزين، ليأتي بصورة مكتملة (وكانت عطيات منكوشة الشعر تنظر إلى صورتها الصغرى المسجاة أمامها بحسرة وهلع، وتلقي إلي بنظرات مستفسرة كأنها لا تصدق أني حزين !!)[56].

---

[53] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٠ .

[54] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٦٠ .

[55] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٧٨ .

[56] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٨٢ .

-كنت قويا ضعيفا كما قلت لك، في قوة المريض الناقه، وفي ضعف مدمن الأفيون. وكنت مصمما على أن ألقاها فأسألها سؤالا واحدا، رجوت بيني وبين نفسي أن يكون السؤال الأخير، هو معنى الحياة الهادئة التي تقصدها !! [57].

-واستبد بي القلق بعد عشرين يوما، فكتبت خطابا.. إلى من ؟!..

إلى أبيها. أقرب الناس إلي. الرجل الذي ينتمي إلى نفس الفئة التي أنتمي إليها. المغلوب كأنه طائر بجناح واحد. وكان الخطاب مؤثرا جدا. دمعت عيناي بعد ما أعدته على نفسي، وتصورت أفراد هذه الأسرة وهم يقرؤونه، وأن الأب احتد وانفعل وبدا حازما غير طبعه، وأن الأم لطمت خديها من خيبة بنتها، وأن... [58].

-وأبكتني الذكريات الحلوة والذكريات المرة على السواء ورأيت المهد الصغير الذي كان مهيأ للطفلة التي ماتت منزويا في أحد الأركان كأنه لحد خرب فخيل إلي أن قنبلة قد سقطت على عشي فنسفته ؟![59].

٢-ارتداد داخلي تذكيري أو مكرر:-

ويُسمي جينيت هذا النمط بالارتداد التكراري[60] ؛ أي انه يرد في النص القصصي، مكررا في أكثر من موضع[61] ، كما سبق ذكره، ويظهر في المقاطع التكرارية الآتية:-

١- لكن وجها أسمر مخسوفا، وعودا ضئيلا نحيفا، وعينين واسعتين، وفما يبتسم في تودد ومسالمة، فرض نفسه على كل هذه المناظر، فاستبعدت أن يكون ذلك صحيحا [62].

٢-وهل يكون الحب إلا سلاما، وهل يكون السلام إلا حبا ؟! [63] .

٣-وصممت على أن أعود إلى بيتهم مرة أخرى. وفي هذا المساء.

أما الخطة فلن أرسم خطة. ما قيمة الخطط في هذه الهيجاء ؟! إن الخطط التي خابت أكثر جدا من التي نجحت، في حياة كل الناس !! [64].

٤-وكما سألت نفسي في الماضي قائلا لها: لماذا نحب أناسا لا نرضى عن ماضيهم تمام الرضا، فنكصت عن الجواب. لأن تناسي الأخطار من أولى دعائم اللذة !! [65].

---

[57] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٩٣ .
[58] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٩٢ .
[59] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢٠٨ .
[60] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٦٤ .
[61] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٥٨ .
[62] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢١٣ .
[63] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢٢١ .
[64] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٨٢-٨٣ .
[65] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٢٦ .

٥- قد تكون قصة غيرك هى الفصل الأول من قصتك وأنت لا تشعر [66].

٦-وكانت عيناي مليئتين بالدموع . جدا. وأشباح تتخايل أمامي في الحجرة فيها صورة مقلوبة لزوجين، وامرأة بشعر بني وعيون خضر !! ومن خلال الدموع طفت صورة... صورة امرأة سمراء بوجه مخسوف، وعيون واسعة، وفم يبتسم في تودد ومسالمة . هذه صورة روحية. وكانت مقبلة علي وفي يدها عود أخضر.. يخيل إلي أنه غصن من الزيتون [67].

٧-قد تكون قصة غيرك غيرك هى الفصل الأول من قصتك وأنت لا تدري ؟

وعندما ينكشف لك ذلك فجأة، تدق كفا بكف، ضاحكا، أو باكيا، على حسب الظروف[68].

٨- وكم من ليلة سهرناها نرسم "الخطة"، وعند مطلع الصبح فوجئنا بأن" الخطة "" مرسومة "على صورة لا نعلمها.

تذكرت قول أمي ووجها متقلص واشمئزاز الدواء لا يزال عالقا على ملامحها:" يجب أن تدخر شيئا من دخلك يا بني، لتتزوج "[69].

٩- ولما عدت أسألها: لماذا نحب بعض أناس لا نرضى عن ماضيهم تمام الرضا[70].

١٠- ولما عدت أسألها : لماذا نحب بعض أناس لا نرضى عن ماضيهم تمام الرضا ؟

أجابتني بنفس الطريقة : "دعك من الماضي. العبرة بالمستقبل !! ومن حق الفتاة أن تلقى شبكتها !! ".

ولما سألتها السؤال الثالث : إلى أين ؟! أجابتني بعنف شديد : "أيها الغبي، إلى حيث يذهب كل الناس!!" .

وكنت أسأل نفسي: هل تصلح عطيات زوجة لي ؟؟ فأجابتني كمن يزجر طفلا : "تصلح!!" [71].

١١-وكنت أخلع ملابسي آخر السهرة بعد عودتي من القهوة شبعان حامدا الله وأنا أذكر شيئا لعلك تذكره.

---

[66] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢١٥ .
[67] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢٢١ .
[68] محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١ .
[69] غصن الزيتون، ص٦٢ .
[70] غصن الزيتون، ص٧٣ .
[71] غصن الزيتون، ص ٧٣ .

تذكرت "أن قصة غيرنا قد تكون الفصل الأول من قصتنا ونحن لا نشعر. وحين ينكشف لنا ذلك فجأة ندق كفا بكف..."

ودققت كفا بكف– فعلا– حين انكشف لي أن قصة جمال أفندي كانت الفصل الأول من قصتي مع عطيات !!

لكن أحلامي كانت كخضرة الحقول، واجتزت عتبة الفصل في المنام خمسين مرة وأنا أنظر إليها.. حتى طلع النهار[72].

١٢ –وكنت أنظر في عينيها بحيرة، وأسأل نفسي سؤالا جديدا، أهم من الذي لا يزال معلقا ينتظر حكم العقل" لماذا نحب بعض أناس لا نرضى عن ماضيهم تمام الرضا "؟! أما السؤال الجديد الذي نبت في رأسي وأنا إلى جوارها فقد كان" إلى أين؟! "وانضم السؤالان بعضهما إلى بعض، ينتظران الإجابة... [73].

ثالثا –الارتداد المختلط (المزجي):–

–يشير هذا المقطع إلى الفترة الزمنية الواقعة قبل بداية حاضر النص السردي، و لكن من خلال قراءة القصة يتبين أن العذاب الذي تعانيه الشخصية المركزية (الشك والغيرة) مازال مستمرا معها على مستوى خط الزمن الأصلي، بسبب غيرته من زميله (الاستاذ جمال) وشكوكه في وجود علاقة بينه وبين زوجته (عطيات)، وهذا ما دفع (عبده) لطلاق عطيات.

–ويبدأ المقطع بقول الراوي (الشخصية الرئيسية) عبده :–

–كان بيننا من يدعى جمال أفندي، وقد كانت القاعدة في توزيع المدرسين على الفصول أن يختاروا لمدارس البنات أتعس الوجوه من الشبان، أو من المسنين الذين يصلون الظهر في فسحة الغداء. لكن زميلنا جمال أفندي شذ عن القاعدة من كل أطرافها، فقد كان شابا وسيما.... ولم يكن من المصلين !! [74].

–لكنني بيني وبين نفسي كنت أؤمن بمواهب جمال. كان يحمل مفتاحين من أحسن ما صنع الله لفتح قلب المرأة !! كان وسيما..... وكان كذابا...!! وهذان هما المفتاحان !! [75].

---

[72] غصن الزيتون، ص٥٩ .
[73] غصن الزيتون، ص٦١ .
[74] غصن الزيتون، ص٨ .
[75] غصن الزيتون، ص٩ .

– ولأول مرة في حياتي بدا لي أنني شرير. تصورت أن جمال افندي داخل أو خارج، وكأنني فاجأته بطعنة من المدية التي في جيبي وتركتها في ظهره ثم فررت .

ثم نفيت عن قلبي هذا الخاطر، كما كنت قديما أنفي الخواطر السود التي تتعلق بعطيات. وفكرت في أن أصعد إليه لأسأله عن حادث واحد، قائلا له :

ألست أنت الرجل الذي كان ماشيا مع عطيات يوم قابلك زميلنا فلان (الذي قابلني على القهوة في ميدان السيدة) وسلم عليك يومئذ ؟ أليست هى المرأة ذات العيون الخضر والشعر البني التي كانت في صحبتك ؟[76].

– يتمثل الارتداد المزجي في بنية الرواية:–

تكاد الرواية في مجمل بنيتها السردية أن تكون محض استرجاع مزجي بسبب التناوب شبه المستمر بين تقنيتي الاسترجاع الخارجي External retrieval والاسترجاع الداخلي Internal recovery غير أن الاسترجاع الخارجي تقنية تأخذ مسارا تنازليا يبدأ كبيرا ثم يصغر شيئا فشيئا، في حين أن الاسترجاع الداخلي تقنية تأخذ مسارا تصاعديا يبدأ صغيرا ثم يكبر شيئا فشيئا، مسيطرا بذلك على معظم بنية السرد الروائي [77] .

–ويتمثل في مقاطع(الشك– الحقد–الغيرة– الصراع النفسي) على امتداد الرواية ما بين ماضي الشخصية وحاضرها ، حيث يقول الراوي :–

١–وفكرت في أن أصعد إليه لأسأله عن حادث واحد، قائلا له : ألست أنت الرجل الذي كان ماشيا مع عطيات يوم قابلك زميلنا فلان (الذي قابلني على القهوة في ميدان السيدة) وسلم عليك يومئذ؟ أليست هى المرأة ذات العيون الخضر والشعر البني التي كانت في صحبتك ؟! [78] .

٢–وصعدت السلم بهدوء كأنني أتلصص، وكان خفقان قلبي أعلى من وقع أقدامي على الحجر، فرأيت الشقة غارقة في الظلام. لكن خيل إلي أنني أسمع بداخلها همسات.. همسات كأنها مناغاة، وأحيانا رشفات كأنها قبلات... وأحيانا غطيطا كأنه شخير نائم[79].

٣–كانت النوافذ مقفلة تقريبا وهمهمة خفيفة تسري في أوراق الشجر حين كان الاثنان يتحركان على مقربة من السور. وتذكرت حكاية حمودة وكيف كان يلتقي بحبيبته القديمة

---

[76] غصن الزيتون، ص ٢٠٧ .
[77] انظر: آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ص١١٥ .
[78] غصن الزيتون، ص٢٠٧ .
[79] غصن الزيتون، ص ٢٠٧ .

ثم قصة المصباح الذي فاجأتهما به الجارة والصراخ والفضيحة. ونسيت الماضي واندمجت في الحاضر [80].

٤- فشعرت أني أملك شيئا. ووازنت بين مسلكي ومسلك حبيبها القديم (الذي أكدت لنفسي أنها نسيته) فوضعته- ولست أدري لماذا- بأنه رجل سخيف !!

وهكذا حللت العقدة وتوهمت أنه حكم سليم، وإن بقيت الأسئلة الثلاثة التي يتركب منها شبابي معلقة تنتظر الحكم. [81].

٥-أما المدرسة، فقد ذكرتني ببدء قصتي في مدارس النصر، حين أخذ القضاء ينسج شريط علاقتي بعطيات. [82].

وكانت ذكريات هادئة غير شريرة تقضي معي شطرا من النهار وجزءا من الليل، وكثيرا ما كنت أنظر من النافذة المطلة على الأرض المملحة، فأستعيد بعض ما فات !! [83].

٦-وأما خوفي من المستقبل، فقد كان شيئا خطيرا. كنت أنفيه عن رأسي وأحول بينه وبين الدخول. لكن.... الأقوياء لا يدفعون، فقد تسلل هذا الخاطر إلى نفسي قهرا وقسرا، وناوشني في أوقات متباعدة، وذلك هو خوفي من ولد مزيف [84]!!.

ثانيا: تقنية الاستباق(Preemption) :-

-الاستباق [85]

هو مخالفة لسير زمن السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية، وذكر حدث لم يحن وقته بعد، والاستباق شائع في النصوص المروية بصيغة المتكلم، ولاسيما في كتب السير والرحلات، حيث الكاتب والراوي والبطل أدوارا ثلاثة يمثلها فرد واحد، وهذا الاختلاط في الأدوار يؤدي إلى تداخلها، وبالتالي إلى تداخل أزمانها. ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب، أو شكل تنبؤ، أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل[86] ، والاستباق أنواع مختلفة باختلاف موقع الحدث المستبق في زمن السرد الأولي، أي زمن حكاية الراوي الأساسية .

---

[80] غصن الزيتون، ص٥٠ .
[81] غصن الزيتون، ص٦٧ .
[82] غصن الزيتون، ص٢١٢ .
[83] غصن الزيتون، ص٢١١ .
[84] غصن الزيتون، ص١٣٥ .
[85] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٥-١٦ .
[86] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٥ .

الاستباق[87] Preemption ، أو الاستشراف[88] Foresight، أو التوقع[89] Expectation هو الشكل الثاني من المفارقة الزمنية التي تبتعد بالسرد عن مجراه الطبيعي [90] .

وبعبارة أخرى هو تقنية زمنية تُخبر صراحة، أو ضمنا عن أحداث سيشهدها السرد الروائي في وقت لاحق[91] ، أو يعلن السرد مسبقا عما سيحدث قبل حدوثه[92] .

و(الاستباق) هو القفز على فترة زمنية معينة من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات الرواية [93]، والاستباق في نظر (جيرار جنيت)Gerard Genette هو الحكاية التكهنية بصيغة المستقبل عموما، ولكن لا شيء يمنع من إنجازها بصيغة الحاضر[94] .

ويتمتع بانتشار أدبي أقل من الأنماط الأخرى، ومن خصائص هذه التقنية، هو كون المعلومات التي يقدمها لا تتصف باليقينية، فما لم يتم قيام الحدث بالفعل، فليس هناك ما يؤكد حصوله[95] .

(الاستباق، أو الاستشراف) هو الطرف الآخر في تقنيتي المفارقة السردية (الاسترجاع، الاستباق) [96]، وهو يعني من حيث مفهومه الفني (تقديم الأحداث اللاحقة والمتحققة حتما في امتداد بنية السرد الروائي) على العكس من التوقع الذي قد يتحقق وقد لا يتحقق لاحقا [97].

وتجدر الإشارة إلى أن (الاستباق) تقنية زمنية تجئ عادة في بنية الرواية التقليدية على وجه الخصوص، وتؤدي إلى قتل عنصري التشويق والمفاجأة الفنيين لدى القارئ، حين يعلن الراوي التقليدي عن الأحداث اللاحقة قبل وقوعها في حين أن التوقع الذي ليس بالضرورة

---

87 جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٥١، سيزا قاسم، بناء الرواية ص ٦١ .
88 جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٧٦ .
89 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٢ .
90 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٦٨ .
91 جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٥١ .
92 تزفيتان تودوروف، الشعرية، ط٢، مرجع سابق، ص٤٨ .
93 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٢ .
94 جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٢٣١ .
95 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٢-١٣٣ .
96 آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص١١٩ .
97 إبراهيم نمر موسى، جماليات التشكل الزماني والمكاني "لرواية الحواف"، مجلة فصول،العدد (٢)، ١٩٩٣م، ص٣١٢ .

أن يتحقق كله أو بعضه، يحافظ على بقائها في مثل بنية هذه الرواية الحديثة إلى حد كبير[98] .

وتداخل التلاعب بين المفاجأة والتشويق ، يشكل تقليديا سمة مهمة للعقدة الأمثل[99] .

تتميز الاسباقات أو الاستشرافات بطابعها المستقبلي التنبئي، وتتميز بضآلة حضورها في النصوص السردية المعاصرة، باستثناء ربما الكتابات السردية (السير – ذاتية)(Auto Biographique)[100].

آليات الاسترجاع والاستباق، تتمثل: بالتذكر memory ، أو المونولوج Monologue ، أو الحوار Dialogue، أو المذكرات Memoirs، والاعترافاتConfessions، وربما الأحلام Dreams[101].

ويشير جينيت Genet إلى أن رواية (البحث عن الزمن الضائع) ل"مارسيل بروست" تشكل النموذج المعاصر الأكثر استعمالا لهذه التقنية السردية، كما يضيف أن أفضل النصوص السردية التي تملك قابلية، تمثل الاستشراف هى (النصوص المسرودة بضمير المتكلم) First person pronoun[102] .

وقد أرتأينا أن نستخدم مصطلح (الاستباق) كونه يبدو أكثر تناسبا من بين المصطلحات المذكورة ف (القبلية) توحي بالإشارة إلى تقدم الأحداث بعضها على بعض من أجل خلخلة النظام الزمني في القصة، و (الاستشراف والتوقع) يرتبطان نوعا ما بالمعنى الافتراضي الذي يخمن وقوع حدث معين، أو عدم وقوعه في المستقبل، وكما هو واضح من خلال التعريف، أن هذه التقنية لا تتوقف عند إحدى هاتين الدلالتين دون الأخرى.

وبذلك نرى أن استباق الأحداث واستجلابها قبل الأوان هو المبدأ الجوهري لهذه التقنية .

وكان الاستباق في النصوص السردية القديمة وخاصة الملاحم الكبرى كالإلياذة والأوديسة يتم بطريقة واحدة، تتمثل في تقديم نوع من الملخص الاستباقي الذي يولد ما يسميه تودوروف Todorov ب (حبكة القدر) The plot of fate، أما في القصص الحديث، فإنه يتم بأكثر من طريقة سردية[103] .

---

98 آمنة يوسف ، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، ص١٢٠-١٢١ .

99 جيرالد برنس، المصطلح السردي، ص٢٢٧.

100 عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سلسلة الدراسات (٢) ، ٢٠٠٨، ص١٣٣.

101 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص١٦٩ .

102 عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص١٣٣-١٣٤ .

103 نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٦٩-٧٠.

ويرى جينيت أن الحكاية(بضمير المتكلم) تعد أكثر الطرائق ملائمة للاستباق بسبب طابعها الاستعدادي المصرح به عن الذات [104]، إذ ان الراوي يكون عارفا بجميع الأحداث قبل البدء بقصها، وبالتالي يستطيع الإشارة إلى الوقائع المستقبلية دون الإخلال بمنطقية العمل القصصي.

ومن هنا كان التوجه الزمني لهذه التقنية معاكسا لتوجه تقنية الارتداد، فمثلما يرجع زمن القص لاستحضار الأحداث الماضية، يقفز إلى الأمام متخطيا اللحظة التي وصل إليها لاستقدام أحداث مازالت في حكم المجهول [105].

-انواع الاستباق : (الداخلي - الخارجي)

١-استباق داخلي [106] :-

هو الذي لا يتجاوز خاتمة الحكاية ولا يخرج عن إطارها الزمني، وظيفته تختلف باختلاف أنواعه، أما خطره، فيكمن في الازدواجية التي يمكن أن تحصل بين السرد الأولي والسرد الاستباقي، كيف يتعامل السرد الأولي مع الحدث المستبق عندما يبلغ أوانه ومكانه، أيكرر سرده أم يختصره أم يحذفه، والاستباق الداخلي نوعان:-

أ-الاستباق الداخلي غير المنتمي إلى الحكاية، يسميه البعض(براني الحكي) Barani the storyteller: وهو الاستباق الذي يروي حدثا واقعا ضمن زمن السرد الأولي، ولكنه خارج عن موضوع الحكاية، ليس في هذا النوع احتمال للازدواجية .

ب-الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية، يسميه البعض(جواني الحكي) Inside the story: وهو الاستباق الذي يتناول حدثا واقعا ضمن زمن السرد الأولي وضمن موضوع الحكاية، وهو نوعان:(تكميلي ومكرر) :-

١-الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية التكميلي Supplemental story: وهو الذي يسد مسبقا نقصا سيحصل في السرد الأولي، إنه تعويض عن حذف لاحق فوجوده يكمل السرد.

٢-الاستباق الداخلي المنتمي إلى الحكاية المكرر أو الإخطار The repeated story: وهو الذي يكرر مسبقا وإلى حد ما مقطعا سرديا لاحقا، ويأتي هذا الاستباق عموما بصورة إشارات قصيرة تنبه إلى حدث سيتناوله السرد لاحقا وبالتفصيل.

---

[104] جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص٧٦ .

[105] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٧٠ .

[106] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٧ .

2-استباق خارجي :-

أ-استباق خارجي جزئي Partial external preemption: هو الذي يتجاوز زمنه حدود الحكاية، يبدأ بعد الخاتمة، ويمتد بعدها لكشف بعض المواقف والأحداث المهمة والوصول بعدد من خيوط السرد إلى نهاياتها .

ب-استباق خارجي تام Complete external preemption: وقد يمتد إلى حاضر الكاتب؛ أي إلى زمن كتابة الرواية، فيكون عندئذ شهادة على عمق الذكرى تؤكد صحة الأحداث المروية، وتربط الماضي بالحاضر والبطل بالكاتب، وتكون ذات طبيعتين: (زمنية) متعلقة بالأحداث، و(صوتية) متعلقة بالشخصيات[107] .

أما بالنسبة للوظائف التي يقوم بها الاستباق بوصفه أحد فنون القص ذو التأثير المباشر على حركة الإيقاع الزمني في القصة، فهى تتلخص في إعداد القارئ وتهيئته لتقبل ما سيجري من أحداث، ذلك أن المقطع الاستباقي، يعد بمثابة تمهيد، أو توطئة لأحداث لاحقة يجري الاعداد لسردها من طرف الراوي، فتكون غايتها في هذه الحالة هى حمل القارئ على توقع حادث ما ، أو التكهن بمستقبل إحدى الشخصيات[108] .

كما انها قد تأتي على شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائر الشخصيات، مثل: الإشارة إلى احتمال موت، أو مرض، أو زواج بعض الشخوص .

ويسمي جينيت هذا النوع ب (الاستباقات الخارجية) تمييزا لها عن الاستباقات المتممة، أو التكميلية التي تأتي مقدما لملء الفراغات الحكائية اللاحقة، وعن الاستباقات التكرارية التي تضاعف بشكل مسبق مقطعا سرديا آنيا [109] .

-أنواع الاستباق حسب الوظيفة التي يؤديها :-

فالاستباق حالة من الانتظار والتوقع، تسيطر على المتلقي أثناء القراءة، أما أنواعه حسب الوظيفة التي يؤديها، فهى نوعان (تمهيدي وإعلاني) [110] :

١-الاستشراف كتمهيد . ٢- الاستشراف كإعلان .

١-الاستشراف كتمهيد (amorce):-

في حالات كثيرة يكون الاستشراف مجرد استباق زمني، الغرض منه التطلع إلى ما هو متوقع أو محتمل الحدوث في العالم المحكي، وهذه هى الوظيفة الأصلية والاساسية

---

[107] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص١٦-١٧ .
[108] نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني، ص٧١ .
[109] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٢ .
[110] نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص١٦٦ .

للاستشرافات بأنواعها المختلفة. وقد يتخذ هذا الاستباق صيغة تطلعات مجردة، تقوم بها الشخصية لمستقبلها الخاص، فتكون المناسبة سانحة لإطلاق العنان للخيال، ومعانقة المجهول، واستشراف آفاقه [111] .

وبوجه عام، يجوز القول بأن الاستشرافات، بالمعنى الذي عرضنا له حتى الآن، تدخل في صميم التحريف الزمني الذي يعمد إليه الكاتب، لتحقيق مشاركة القارئ وحفزه على المساهمة في بناء السرد، وإنتاج المتعة الروائية بما يعني أن الكاتب، وهو يستعمل هذا النمط من الاستشرافات، يبقى حرا إلى حد ما في الوفاء، أو عدم الوفاء، لما هيئ له الشئ الذي يؤدي، في الحالة الأخيرة، إلى ما يسميه جينيت (بالتمهيدات الخادعة fausses annonces) .

وهى تلك الاستشرافات التي يلجأ إليها الكاتب كلما أراد تضليل القارئ، أو رغب في تمويه خطته السردية. [112]

٢-الاستشراف كإعلان (annonce) :-

يقوم الاستشراف بوظيفة الاعلان، عندما يُخبر صراحة عن سلسلة الأحداث التي سيشهدها السرد في وقت لاحق، ونقول "صراحة" لأنه إذا أخبر عن ذلك بطريقة ضمنية، يتحول توا إلى استشراف تمهيدي؛ أي إلى مجرد إشارة لا معنى لها في حينها ونقطة انتظار مجردة من كل التزام اتجاه القارئ . وفي هذا السياق يحذرنا جينيت من الخلط بين هذه الاعلانات الواضحة (التعريف)، وبين التمهيدات التي تُعتبر أداة الفن الكلاسيكي لإعداد القارئ لتقبل ما سيأتي من الأحداث، ويبرز لنا كيف أن الفرق بين الاعلان والتمهيد يكمن في أن الأول، يعلن صراحة عما سيأتي سرده مفصلا، بينما الثاني، يشكل بذرة غير دالة germe in signifiant لن تصبح ذات معنى إلا في وقت لاحق وبطريقة إرجاعية.

وحسب نفس الباحث، فإن دور الاعلانات في تنظيم السرد هو خلق حالة في ذهن القارئ، هذا الانتظار الذي قد يحسم فيه بسرعة في حالة الاعلانات ذات المدى القصير، مثل تلك التي توجد في نهاية الفصول وتشير إلى ما سيحصل من أحداث في الفصل الموالي، كما أن فترة الانتظار تلك قد تطول في حالة الاعلانات ذات المدى البعيد لتستغرق مئات الصفحات أو أجزاء الكتب، ومن شأن هذا الصنف الأخير أن يخلق نوعا من سوء التفاهم

---

[111] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٣ .

[112] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٦ .

لدى القارئ بسبب طول المسافة التي تفصل بين الاعلان عن حدث ما، وبين مكان تحققه فعليا في السرد. [113]

فالمقطع الاستشرافي يأتي على شكل إشارة سريعة قد لا تتجاوز الفقرة أو الفقرتين في الغالب، ويقوم بالإعلان مسبقا عما سيقع لاحقا من الأحداث، بينما يشغل المقطع الاستذكاري حيزا أكبر في السرد، ويكون بمثابة نظرة إجمالية على ماضي الأحداث في القصة .[114]

وخلاصة القول :-

-الاستباق التمهيدي Pre-emption هو حدث، أو ملحوظة، أو إيحاء أولي يمهد لحدث أكبر منه سيقع لاحقا، وقد يأخذ شكل حلم، أو حدث عابر مجزوء [115] .

-الاستباق الإعلاني Advertising preemption هو استباق يضطلع بمهمة إخبارية حاسمة تطرح بشكل مباشر حدثا سيجري تفصيله فيما سيأتي غير قابل للنقض أو امتناع الحدوث [116] .

-وسنقتصر فقط على ما هو موجود من أنواع الاستباق (التمهيدي- الإعلاني) في رواية كاتبنا ، كون هذه الرواية لا تتضمن جميع الأنواع :-

١-الاستباق التمهيدي :-

سبق وان تحدثنا عنه بأنه "حدث، أو ملحوظة، أو إيحاء أولي يمهد لحدث أكبر منه سيقع لاحقا، وقد يأخذ شكل حلم، أو حدث عابر مجزوء"[117] .

١-يستبق الراوي الأحداث، ويتوقع حدوث الأسوء في حياته ،من خلال قوله في المقطع التالي: (فربما حدث ما لا يسر)[118] ،(ثم تخيلت كف أمها تهددني وعينها الشريرة ترمي بالشر)[119]. (وسافرت إلى الفيوم من فوري، كأنني ارتكبت جريمة في القاهرة)[120] . (وخيل إلي أن الهواء الصالح للتنفس لا يوجد إلا في فضاء القاهرة وأنني سأختنق إن رحلت)[121].

---

113 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٣٧ .
114 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص١٤٣-١٤٤ .
115 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص١٦٦ .
116 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ ، ص ١٦٨.
117 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ، ص١٦٦ .
118 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٨٣ .
119 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص١٧٢ .
120 محمد عبد الحليم عبد الله، غصن الزيتون، ص٢٠٨ .
121 غصن الزيتون، ص٧١ .

٢- يعرض الراوي لصورة الشخصية (عطيات)، أو لمظهر من مظاهر حياتها، أو حدث لم يحن وقوعه بعد، انه استباق لأحداث لم تقع (ورأيت عطيات الحاضرة أمامي في صورة جديدة: تخيلتها أمرأة تمشي في القرية في يوم شتوي كثير الوحل، وتلبس جلبابا طويلا يعوق من تلبسه، وتمشي حافية في الطين، وتحمل على رأسها قفة من الدقيق ثقيلة، تعبث الريح بغطائها من فوق . وهى حريصة على أن تصل إلى الدار بهذا الحمل المهم الثقيل الغالي قبل أن تتزحلق ، أو أن يبعثر الهواء ما فوق رأسها، أو أن يرى الرجال سيقانها العريانة. وهى بعد ذلك كله... تلهث. وتلهث..!!) [122].

٣- يمهد الراوي لحدث زواج عبده من عطيات (ولم يطل مكثها فانصرفت بأفكارها وتركتني لأفكاري . واتفقنا قبل نزولها على أني سأطلب يدها من أبيها. غدا، غدا عصرا، بلا تأخير)[123].

٤- يستبق الراوي لأحداث لم تقع، وهى زواج عطيات من رجل آخر (وكان يخيل إلي في كثير من الليالي أنها آلت إلى أحضان الرجل الذي أحبته، وأعلنت فورا افتتاح الطريق الذي عبدته، وأن أباها الضعيف المهزوم سلم بالأمر الواقع، وأن أمها هزت كتفها غير مبالية:(كلهم رجال). وأما رشدي فقد فرح بصهره الجديد. وأما المجتمع فإنه لا ذاكرة له: يعيش في الحاضر، ويقسم الماضي إلى قسمين، ينسى أحدهما ويزيف الآخر ثم يسميه: "التاريخ" !!) [124].

٥-يستبق الراوي لأحداث لم تقع، وهى خروج شخصية (أنا كارنينا) من بين صفحات الرواية، لتتجسد أشخاص واقعيين (وتخيلت أن الحادثة ستخرج فورا من بين صفحات الكتاب، فتتجسم على محطة كفر الزيات، وأن (أنا كارنينا) ستظهر من وراء الكشك في عز وترف وفتنة، لتقابل قطار البضاعة. لكن شيئا ناعما كأنه ثعبان لمس ساقي من أسفل فارتجفت، ونظرت إلى الأرض فوجدت القطة تتمسح بأثوابي) [125].

٦- يستبق الراوي لأحداث لم تقع، وهى موت عائل هذه الأسرة (تصورت أن هذا الرجل المضطجع على الكنبة المقارب على الستين خرج من هذا البيت صباح يوم ولم يعد !! أو

---

122 غصن الزيتون، ص٨٤ .
123 غصن الزيتون، ص٨٦ .
124 غصن الزيتون، ص٢١٠ .
125 غصن الزيتون، ص٢١٩-٢٢٠ .

دخل هذا البيت ظهر يوم ولم يخرج !! فانقطع بذلك المدد الشهري الذي لا يزيد عن عشرين جنيها فماذا يكون مصير هؤلاء الذين يتزاحمون على حفنة من الرز ؟!)[126].

٧- يستبق الراوي لأحداث لم تقع، وهى قتل (عبده) الاستاذ جمال، زميله في مدارس النصر (ولأول مرة في حياتي بدا لي أنني شرير. تصورت أن جمال افندي داخل أو خارج، وكأنني فاجأته بطعنة من المدية التي في جيبي وتركتها في ظهره ثم فررت .

ثم نفيت عن قلبي هذا الخاطر، كما كنت قديما أنفي الخواطر السود التي تتعلق بعطيات)[127].

٨- استباق الراوي بعدم انتهاء قصة عبده مع زوجته (عطيات)، يقول: (غير أن إحساسا داخليا صرفا كان يخامرني، أوحى إلي بأن قصتي لم تنته بعد. فابتسمت ساخرا شاكا) [128].

٩-استباق الراوي لأحداث وفاة أبو عطيات، يقول: (فخفق قلبي من أجله، وخيل إلي أنني أرى جثة رجل رجموه بالحجارة حتى مات، ثم تركوه في أرض فضاء، والطوب منتشر حوله، وعلى وجهه جروح، وعلى جبينه تقطيب من لعنة الحياة !!) [129].

-(سيجارة واحدة، سأدخنها قبل أن تأتي أم رشدي إلي هنا.. سيجارة واحدة. هل فيها موت ؟!.. ليكن[130]. ثم تذكرت قرب انفضاض السوق، أو انتهاء المولد ليلة دخلنا بيتهم في هذه المرة. كانت علامات (التشطيب) ظاهرة على البيت، فخيل إلي أن الرجل سيموت، حتما، فآسفتني هذه النهاية)[131].

١٠-استباق تمهيدي بالفشل والحزن والهم، حيث يقول: (فأطرقت خجلا كأنني أخفقت في مشروع)[132]. (وبدأت أعبر الثلاثين. وبدأ شيب باكر يضئ ظلمة شعري. وخيل إلي أنني أحيا بلا هدف، خصوصا بعد أن أخذ الطنين الذي ملأ أذني من وقع الحوادث يخف كلما مرت الأيام)[133].

١١- استباق تمهيدي (حيث يمهد لأنباء مفرحة، وهى حصول الأخ الأكبر لعطيات على وظيفة ثابتة)، يقول: وكان الفرح يغمر بيت صهري- مرة أخرى- حين عدت إلى القاهرة.

---

126 غصن الزيتون، ص١٢٦ .
127 غصن الزيتون، ص٢٠٧ .
128 غصن الزيتون، ص٢١٣ .
129 غصن الزيتون، ص٢١٦ .
130 غصن الزيتون، ص١٨٠ .
131 غصن الزيتون، ص١٧٩ .
132 غصن الزيتون، ص١٣٣ .
133 غصن الزيتون، ص٢١٣ .

لأن خطابا حكوميا مسجلا كان قد وصل إلى البيت صباح وصولي، وكان يحمل نبأ تعيين الابن الأكبر في وظيفة كتابية في وزارة المعارف. وهنأت رشدي وفرحت له. وهنأت صهري وقلت له: لقد آن الأوان لتحصد بعض ما زرعت يداك[134].

١٢- الاستباق الإعلاني :-

سبق وان تحدثنا عنه بأنه " استباق يضطلع بمهمة إخبارية حاسمة، تطرح بشكل مباشر حدثا سيجري تفصيله فيما سيأتي غير قابل للنقض أو امتناع الحدوث "[135] .

١-استباق الراوي بتحول حياة أسرة عطيات إلى الأسوء، يقول:(وودعت بيتهم عصر يوم من الأيام. وكنت أتخيل وأنا أهبط السلم، أن حادثا معينا سيقع، حادثا مؤسفا لا أدري كهنه ، ولكنني أشم رائحته في الأفق)[136].

٢-استباق بزواج حموده من خالة أولاده، يقول: (وفجأة لاح شبح حمودة، طويلا نحيفا أنيقا مرحا، ولم يكن في عنقه الرباط الأسود، فأدركت أن القضاء آسى جروحه، وأنه برئ من مصابه بسرعة، شأن النفوس المرحة المتفائلة التي تمسح دمعتها ثم ترسل ضحكتها) [137].

((فخفق قلبي، وذكرت كل شيء) وشرب ماء واستطرد: حين مات عديلي ولم يترك إلا زوجته، ففهمت كل شيء. فهمت أن الخالة أصبحت زوجة أب. زواج سياسي. من أجل الأولاد . وأن حمودة سعيد بها)[138].

٣-استباق بمولود جديد (ورقدت في حجرة الصالون بغطاء خفيف على البساط القديم بين الكراسي المتداعية، وقبل الفجر بقليل، أيقظتني يد حماتي: عبده... مبروك... الحمد لله على سلامتها... وتتربى في عزك)[139].

٤- استباق الاستاذ جمال بالعمل في التمثيل، حيث يقول الراوي :(وجلس جمال وطال مكثه، وتكلم عن أشياء كثيرة: العمل في الوزارة وعلاقته بكبار الموظفين، وحبهم له، وهو اتيه للتمثيل وسيطرتها على قلبه، والدور المتوسط الذي سيأخذه في مسرحية ستمثل على مسرح مشهور) [140].

---

134 غصن الزيتون، ص١٦١-١٦٢ .
135 نضال الشمالي، الرواية والتاريخ ، ص ١٦٨.
136 غصن الزيتون، ص١٦٨ .
137 غصن الزيتون، ص٢١٤ .
138 غصن الزيتون، ص٢١٥ .
139 غصن الزيتون، ص١٥٨ .
140 غصن الزيتون، ص١٦٦ .

٥- استباق بالنهاية المؤسفة لما آلت إليه هذه الأسرة (وعلمنا مقدما بالنهايات المؤسفة لا يعفينا من الأسى عندما تحين هذه النهاية) [141].

٦-استباق إعلاني بموت صهره (تذكرت قرب انفضاض السوق، أو انتهاء المولد ليلة دخلنا بيتهم في هذه المرة. كانت علامات (التشطيب) ظاهرة على البيت، فخيل إلي أن الرجل سيموت، حتما، فآسفتني هذه النهاية)[142].

٧-استباق إعلاني بموت الطفلة (جمالات)(وفي المساء أحسست أن الجو خانق، وأنه ينبغي لي أن أتنفس، فخرجت إلى الخلاء، وعدت في وقت متأخر، فاستقبلتني حماتي عند الباب بوجه حزين مهزوم، فعرفت الخبر. عرفت، ما تعرفه أنت بسهولة، أن الطفلة قد ماتت. فخفق قلبي خفقتين، وتنهدت، ودمعت عيناي، لكن شعوري كان مبهما، غامضا، متداخل المعاني، لا أكاد أتبين فيه شيئا معينا)[143].

٨- استباق بموت ناظر مدرسة النصر (ولما دخلت مدارس النصر للمرة الأولى بعد زواجي، استقبلني وجوه عابسة، وأعين قلقة، كأنها تحمل سرا. حتى الذين هنأوني خلت عباراتهم من الحماس، ولم يسخر حمودة. ولم يرسل نكتة، فلم أر بدا من أن أسأل: ماذا هناك؟ فعلمت أن الناظر مات اليوم فجأة، وأن الذين قابلوني من إخواني عز عليهم أن يفاجئونني بالخبر وعطر العروس يفوح من أردائي. لكن تحرجهم زال بعد الكلمة الأولى، وجعل حمودة يقص النبأ بالتفصيل بوجه يتعاقب عليه العبوس والابتسام، كأنه سحابة تبرق) [144].

٩-استباق إعلاني بزواج أخت عبده (زينب) (وكانت تذبح لي دجاجة كل يوم، ولم تعف من أجل حبها بعض دجاجات تمدها بالبيض . وسمعت خبرا وليدا من فمها هو أن خطيبا لزينب قد يدق علينا بابنا فشكرت الله)[145].

١٠-استباق إعلاني بموت الطفلة، وانفصال عبده وعطيات (أما الطفلة فقد قال لنا الطبيب: إن نزلة معوية حادة تهدد حياتها، فشعرنا بالحسرة نحن الاثنين، وأحسست حرقة الحزن مقدما إن ماتت وخيل إلي أن هذه الأم الحنون، تود لطفلتها أن تموت، ليكون الحبل الذي يربطها بي أقل متانة وأسهل قطعا.

---

141 غصن الزيتون، ص٢١٧ .
142 غصن الزيتون، ص١٧٩ .
143 غصن الزيتون، ص١٨١ .
144 غصن الزيتون، ص٩١ .
145 غصن الزيتون، ص١٠٤-١٠٥ .

ولفتني إحساسات متضاربة، لا أذكر أيها كان أقوى. غير أننا في اليوم التالي، رأينا أمارات الموت بادية على وجه الطفلة. وكانت حماتي في حماسة من سيدخل معركة عادلة، دفاعا عن حق، وعلى ملامحها تشاؤم من يعرف المستقبل، وعطيات لا تكف عن البكاء، وصهري الكبير، يدعو ويحوقل. وأنا.. كما أنا، لا أدري حقيقة شعوري)[146](رأينا أمارات الموت بادية على وجه الطفلة)[147].

١١–استباق إعلاني بالعودة إلى نفس المدينة التي شهدت آلامه وأحزانه (وودعت الفيوم هذه المرة لأنني سأقضي إجازة الصيف في القاهرة. ذرفت دمعة على المدينة التي سأعود إليها بعد شهور، لأنها كانت في حياتي أشبه بالغيبوبة التي تفصلنا عن واقع مؤلم)[148].

١٢– استباق بخبر وفاة زوجة حموده (ولم تنقض لحظات حتى رأيت شبح حمودة داخلا من الباب، وبدا لي كأنه كابي اللون، طويل، ناحل. وسلم في خشوع وعدم مرح، فجعلني هذا أتأمله جيدا، فإذا به يلبس رباط عنق أسود:

وفاضت عيناه بالدموع، وفاضت عيناي بالدموع !! وكان كل منا يبكي معنى غير الذي يبكيه صاحبه. وأدرت وجهي، وصفقت وطلبت له قهوة، وقدمت إليه سيجارة، فأخذ يدخن ويشرب ويقص: خمسة أولاد تركتهم هذه الوفية. الذي يؤلمني هو طفل ابن عامين)[149].

١٣– استباق الراوي لأحداث كثيرة مرت من حياة البطل، وانقضى العمر معها (نحن ندرك أن العمر ينقضي كلما وقفنا عند رأس سنة جديدة، ولكن إدراكنا لانقضاء العمر يبلغ القمة إذا ما فارقنا حبيب بموت أو سفر. عندئذ يبدو لنا العدد الضخم من السنين في تفاهة طرفة العين !!) [150]. (والنقل من مكان إلى مكان يذكرنا بانقضاء العمر كما سبق أن قلت. ولذلك فقد أحسسنا أن قطعة من الشباب قد جرت من عمرنا، وأننا بدأنا استهلاك قطعة أخرى منه !!)[151].

---

146 غصن الزيتون، ص١٨١ .
147 غصن الزيتون، ص١٨١ .
148 غصن الزيتون، ص١٤٧ .
149 غصن الزيتون، ص٢٠٠ .
150 غصن الزيتون، ص١٢٦ .
151 غصن الزيتون، ص١٥٢ .

الخاتمة

– بعد رحلة البحث في أجواء المفارقات الزمنية للخطاب الروائي في رواية "غصن الزيتون" قد توصلنا إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي :–

–١لاحظت بروز المقاطع الاسترجاعية ذات المدى البعيد والقريب، داخلية وخارجية، وجدلها مع الحاضر.

٢– أرى أن حركة الزمن في الحاضر السردي بدت بطيئة هادئة في الفصول الأولى من المفارقات الزمنية، لتتحول إلى بركان ذهني ونفسي، حيث تنفجر ذاكرة الشخصية، وينهال الماضي ليطغى على الحاضر، ويستحضر الراوي لحظات الاسترجاع في حياته الماضية.

٣– تيقنت ان الاسترجاع بأنواعه الثلاثة (خارجي – داخلي– مزجي) تقنية زمانية ذات وظائف بنيوية متعددة تخدم السرد، وتسهم في نمو أحداثه وتطوره مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه، سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة، أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد.

– وأخيرا أرجو أن يكون في بعض ما كتبت ما يفيد باحثا، أو متلقيا متذوقا لأعمال هذا الأديب في يوم من الأيام . والله ولي التوفيق .

– قائمة المصادر والمراجع

–أولا: المصادر

– محمد عبد الحليم عبد الله ، غصن الزيتون ، دار مصر للطباعة والنشر ، مكتبة مصر –القاهرة ، د.ط ، ١٩٧٧ .

ثانيا: المراجع

١–جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣م .

٢– جيرارجنيت ، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، ترجمة:محمد معتصم–عبد الجليل الأزدي– عمر حلي، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧ م.

٣– سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط٣ ،١٩٩٧.

٤–آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ ،٢٠١٥م .

٥– نضال الشمالي، الرواية والتاريخ(بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية) ، عالم الكتب الحديث ، إربد – الأردن ، ٢٠٠٦ .

٦– سيزا قاسم، بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٤ .

٧–عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول .

٨–تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء– المغرب، ط٢، ١٩٩٠م .

٩–فاضل ثامر، اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان ،ط١، ١٩٩٤م .

١٠– إبراهيم نمر موسى، جماليات التشكل الزماني والمكاني "لرواية الحواف"، مجلة فصول،العدد (٢)، ١٩٩٣م .

١١–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، ط١ ،١٩٩٠ .

١٢–لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

١٣–والاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨ م .

١٤–ـ عمرعيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سلسلة الدراسات (٢) ، ٢٠٠٨ .

١٥– سمير المرزوقي– جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة (تحليلا وتطبيقا)، دار الشئون الثقافية، الدار التونسية للنشر،١٩٨٦ م .

١٦–تزفيطان تودوروف، الشعرية، ترجمة : شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر – المغرب،ط٢.

١٧– فلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله الفني (قراءة نقدية في قصص الكاتب العراقي– أنور عبد العزيز)، دار غيداء للنشر والتوزيع– عمان، ط١، ٢٠١١م– . ١٤٣٢